نزار قباني

الحب لا يقف على الضوء الأحمر

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر
ت: ٢٥١٤٢٩٥٥

رقم الإيداع: ١٧٠٨٧ / ٢٠١١

افتتاحية

هذا كتابي الأربعون.. ولم أزلْ
أحبو كتلميذ صغير.. في هواك..
هذا كتابيٍ الأربعون..
ورغم كلِّ شطارتي.. ومهارتي
لم يرضَ عني ناهدَاكِ..
كلُّ اللغاتِ قديمةٌ جدا..
وأضيقُ من رؤايٍ ومن رؤاكِ..
لا بد من لغةٍ أفصِّلُها عليك.. حبيبتي..
لابد من لغةٍ تليقُ بمستواكِ..

***

حلقتُ آلافَ السنين.. وما وصلتُ إلى ذُراكِ
وجلبت تيجانَ الملوكِ..
وما حصلتُ على رضاكِ..
وصعدتٍ فوقَ الأبجديةِ كي أراكِ..
يا من تخيطُ قصائدي ثوبًا لها..
هل ممكنْ بينَ القصيدةِ.. والقصدةِ..
أن أراكِ؟؟..

***

القرار

إني عشقتُك واتخذتُ قراري
فلمن أقدمُ يا تُرى أعذاري
لا سلطةً في الحب
تعلو سلطتي
فالرأي رأيي والخيارُ خياري
هذه أحاسيسي فلا تتدخلي أرجوكِ
بين البحرِ والبحّارِ
ماذا أخافُ . . . ماذا أخافُ
وأنا المحيطُ . . . . وأنتِ
من أنهاري
وأنا النساءُ جعلتُهن خواتم لأصابعي
وكواكبَ لمداري
خليك صامتةً ولا تتكلمي
فأنا أديرُ مع النساء حواري
وأنا الذي أعطي مراسيمَ الهوى
للواقفات أمامَ بابِ مزاري
وأنا أرتبُ دولتي وخرائطي
وأنا الذي اختارُ لونَ بحاري

أنا في الهوَى متحكّمٌ متسلطٌ
في كل عشقٍ نكهة استعماري
فاستسلمي لإرادتي ومشيئتي
واستقبلي بطفولةٍ أمطاري
إن كانَ عندي ما أقولُ
فسأقولُه للواحدِ القهارِ
عيناك وحذهما هما شرعيتي
ومراكبي وصديقتي ومساري
إن كان لي وطنٌ فوجهُك موطني
أو كان لي دارفحبك داري
يا أنت يا سلطانتي ومليكتي
يا كوكبي البحريّ يا عشتاري
إني أحبُّك دونَ أي تحفظٍ
أعيش فيك ولادتي ودماري
إني اقترفتُك عامداً متعمّدا
وإن كنت عارًا
يا لروعةِ عَاري
ماذا أخافُ . . . ومن أخاف
أنا الذي نام الزمانُ على صدَى أوتاري

وأنا مفاتيحُ القصيدةِ في يدي
من قبل بَشّاراً ومن مهيار
وأنا جعلتُ الشعرَ خبزاً ساخنًا
وجعلته ثمراً على الأشجارِ
سافرتُ في بحرِ النساء
ولم أزل من يومِها مقطوعة أخباري
من ذا يقاضيني
وأنتِ قضيتي
ورصيفُ أحلامي . . . و ضوء نهاري
من ذا يهددني وأنتي حضارتي . . . وثقافتي
وكتابتي . . . ومناري
أني استقلتُ من القبائِل كلِّها
وتركت خلفي خيمتي و غُباري
هم يرفضونَ طفولتي
وأنا أرفضُ مدائنَ الفخاري
كل القبائلِ لا تريد نساءها
إن يكتشفن الحبَّ في أشعاري
كل السلاطين الذين عرفتهم
قطعوا يديا وصادروا أشعاري

لكنني قاتلتُهم وقتلتُهم
ومررت بالتاريخ كالإعصار
أسقطتُ بالكلماتِ ألف خليفةٍ
وحفرتُ بالكلمات ألفَ جدار
يا صغيرتي إن السفينةَ أبحرت
فتكومي كحمامةٍ بجواري
ما عاد ينفعك البكاءُ ولأسى
فقد عشقتُك واتخذت قراري

***

معها في باريس

لا الشعرُ ، يُرضِي طموحاتي ، ولا الوترُ
إني لـعـيـنـيـكْ، باسم . الشِّعْر ، أعتذرُ
حاولتُ وصفَك ، فاستعصى الخيالُ معي
يا من تدوخُ على أقدامِك الصور
يُروّجُـون كلاما لا أصدقُه
هل بين نهديْك ، حقا ، يسكن القمرُ ؟؟
كم صعبةٌ أنت .. تصويرا وتهجيةً
إذا لمستك، يبكي في يدي الحجر
من أنتِ ؟ . من أنتِ ؟ . لا الأسماءُ تسعفني

ولا البصيرةُ، تكفيني، ولا البصرُ
نهداك .. كان بودِّي لو رسمتُهما
إذا فشلتُ .. فحسبي أنني بشرُ
أيا غمامةَ موسيقى .. تظللني
كذا - يُنقِّط فوقَ الجنةِ المطرُ
الحرفُ يبدأ من عينيْك رحلتَه
كلُّ اللغاتِ بلا عينيك .. تندثر
يا من أحبُّك، حتى يستحيل دمي
إلى نبيذ، بنار العشقِ يختمر
يسافر الحبُّ مثلَ السيفِ في جسدي
ولم أخططْ له .. لكنه القدرُ..
هزائمي في الهوى تبدو مُعَطَّرةً
إني بحبِّك مهزومٌ .. ومنتصر
تركتُ خلفي أمجادي .. وها أنذا
بطولِ شَعْرك - حتى الخصرَ - أفتخرُ
ماذا يكون الهوى إلا مخاطرةً
وأنتِ .. أجملُ ما في حبِّك الخطر
يا من أحبُّك .. حتى يستحيلَ فمي
إلى حدائق فيها الماءُ والثمر...

جزائرُ الكحل في عينيك مدهشةٌ
ماذا سأفعل لوَ ناداني السفرُ ؟؟

***

سمراءُ .. إن حقولَ التبغ مقمرةٌ
ولؤلؤَ البحرِ شفافٌ .. ومبتكر
هل تذكرين بباريسٍ تسكعَنا ؟
تمشين أنت .. فيمشي خلفكَ الشجرُ
خـُطاك في ساحةِ (الفاندوم) أغنية
وكحلُ عينيك في (المادلين) ينتشرُ
صديقةَ المطعمِ الصينيِّ .. مقعدُنا
ما زال في ركـنِنا الشعري ، ينتظر
كلُّ التماثيل في باريس تعرفـنا
وباعةُ الوردِ ، والأكشاك ، والمطر
حتى النوافيرَ في (الكونكورد) تذكرُنا
ما كنت أعرفُ أن الماءَ يفتكر ..

***

نبيذ بوردو .. الذي أحسوه يصرعُني
ودفءُ صوتِك .. لا ـ يُبقي ـ ولا يَذ...
ما دمتِ لي .. فحدودُ الشمسِ مملكتي

والبرُّ ، والبحرُ ، والشطآنُ ، والجُزر
مادام حبُّك يعطيني عباءَته
فكيف لا أفتك الدنيا .. وأنتصرُ ؟
سأركب البحِرَ .. مجنونا ومنتحرا..
والعاشق الفذُّ .. يحيا حين ينتحرُ...

❊ ❊ ❊

من يوميات تلميذ راسب

- ١ -

ما هو المطلوبُ مني ؟
ما هو المطلوبُ بالتحديد مني ؟
إنني أنفقتُ في مدرسةِ الحبِّ حياتي
وطوالَ الليل . . طالعتُ . . وذاكرتُ . .
وأنهيتُ جميعَ الواجباتِ . . .
كلِّ ما يمكنُ أن أفعلَه في مخدعِ الحبِّ ، فعلته . .
كلّ ما يمكنُ أن أحفرَه في خشَبِ الوردِ ، حفرتُهْ . .
كل ما يمكنُ أن أرسمَه . .
من حروفٍ . . ونقاطٍ . . ودوائر . .
قد رسمتُهْ . .
فلماذا امتلأتْ كراستي بالعلاماتِ الرديئهْ ؟.

ولماذا تستهينين بـتاريخي. .
وقدراتي . . وفـني. .
أنا لا أفهمُ حتى الآنَ، يا سيدتي
ما هو المطلوبُ مني ؟

- ٢ -

ما هو المطلوبُ مني ؟
يشهد اللهُ بأني. .
قد تفرغتُ لنهديْك تمامًا. .
وتصرفتُ كفنانٍ بدائي. .
فأنهكت وأوجعتُ الرخاما
إنني منذ عصور الرقِّ . . ما نلتُ إجازةً
فأنا أعملُ نحاتا بلا أجرٍ لدى نهديكِ
مذ كنت غلامًا. .
أحملُ الرملَ على ظهري. .
وألقيهِ ببحر اللانهايهْ
أنا منذُ السنةِ الألـفـين قبلَ الـنهدِ. .
- يا سيدتي - أفعلُ هذا. .
فلماذا ؟
تطلـبـين الآن أن أبدأ - يا سيدتي - منذُ البدايهْ

ولماذا أطعنُ اليومَ بِإ بداعي. .
وتشكيلات فـني ؟
ليتني أعرفُ ماذا. .
يبتغي النهدانُ مني ؟؟

- ٣ -

ما هو المطلوبُ مني ؟
كي أكونَ الرجلَ الأولَ ما بينَ رجالك
وأكون الرائدَ الأولَ. .
والمكتشفَ الأولَ. .
والمستوطن الأولَ. .
في شَعْرِك . . أو طيَّاتِ شالِكْ. .
ما هو المطلوبُ حتى أدخلَ البحرَ. .
وأستلقي على دفءِ رمالك ؟
إنني نفذتُ حتى الآن
آلافَ الحماقـاتِ لإرضاءِ خيالك
وأنا استشهدت آلافًا من المرات
من أجلِ وصالِك. .
يا التي داخت على أقـدامِها
أقـوى الممالـكْ. .

حرريني . .
من جنوني . . وجمالكْ . .

– ٤ –

ما هو المطلوبُ مني ؟
ما هو المطلوبُ حتى قِطتي تصفحُ عني ؟
إنني أطعمتُها . .
قمحا . . ولوزا . . وزبيبا . .
وأنا قدمت للنهديْن . .
تفاحًا . .
وخمرًا . .
وحليبًا . .
وأنا علقتُ في رقبتِها . .
خرزًا أزرقَ يحميها من العيْن
وياقوتاً عجيبًا . .
ما الذي تطلبه القطةُ ذاتَ الوبرِ الناعم مني ؟
وأنا أجلستُها سلطانةً في مقعدي . .
وأنا رافقتُها للبحرِ يومَ الأحدِ . . .
وأنا حمَّمتها كلَّ مساءٍ بيدي . .
فلماذا ؟

بعدَ كلِّ الحبِّ . . والتكريم . .
قد عضّتْ يدي ؟ .
ولماذا هي تدعوني حبيبًا . .
وأنا لستُ الحبيبا . .
ولماذا هيَ لا تمحو ذنوبي ؟
أبدًا . . ولله في عليائِه يمحو الذنوبا . .

- ٥ -

ما هو المطلوبُ أن أفعلَ كي أعلنَ للعشق ولائي .
ما هو المطلوبُ أن أفعل كي أدفنَ بين الشهداء ؟
أدخلوني في سبيل العشقِ مستشفى المجاذيب . .
وحتى الآنَ - يا سيدتي - ما أطلقوني . .
شنقوني - في سبيل الشعر - مراتٍ . . ومرات . .
ويبدو أنهم ما قتلوني . .
حاولوا أن يقلعوا الثورةَ من قلبي.. وأوراقي .. ويبدو أنهم..
في داخل الثورةِ - يا سيدتي - قد زرعوني . . .

- ٦ -

يا التي حُبي لها . .
يدخلُ في بابِ الخرافات . .
ويستنزف عمري . . ودمايا . .

لم يعدْ عندي هواياتٌ سوى أن أجمعَ الكحل الحجازي الذي بعثَرتِ في كلِّ الزوايا. .
لم يعدْ عندي اهتماماتٌ سوى. .
أن أطفىءَ النارَ التي أ شعلها نهدا كِ في قلب المرايا. .
لم يعدْ عندي جوابٌ مقنع. .
عندما تسألني عنكِ دموعي . . ويدايا

- ٧ -

اشربي قهوتَك الآنَ . . وقولي
ما هو المطلوبُ مني ؟
أنا منذُ السنةِ الألفين قبلَ الثغر. .
فكرتُ بثغركِ. .
أنا منذُ السنة الألـفينِ قبلَ الخَيْلِ. .
أجري كحصانٍ حولَ خصرِ كِ. .
وإذا ما ذكروا النيلَ. .
تباهيت أنا في طول شعر ك
يا التي يأخذني قـفطانَها المشغول بالز هر. .
إلى أر ضِ العجائب. .
يا التي تنتشر الشاماتِ في أطرافِها مثلَ الكواكبْ. .
إنني أصرخُ كالمجنونِ من شدة عشقي. .

فلماذا أنت ، يا سيدتي ، ضدُّ المواهبْ ؟
إنني أرجوكِ أن تبتسمي . .
إنني أرجوكِ أن تنسجِمي . .
أنت تدرين تماما . .
أن خبراتي جميعا تحتَ أمركْ
ومهاراتي جميعا تحتَ أمرك
وأصابيعي التي عمَّرْتُ أكوانًا بها
هي أيضا . .
هي أيضا . .
هي أيضا تحتَ أمرِكْ . .

* * *

تصوير

اضْطَجعي دقيقةً واحدةً . .
كي أكملَ التصويرَ . .
اضطجعي مثلَ كتابِ الشِعر في السريرِ
أريد أن أصورَ الغاباتِ في ألوانِها
أريد أن أصورَ الشاماتِ في اطمئنانِها
أريد أن أفاجئَ الحلمةَ في مكانِها
والناهدَ الأحمقَ ـ يا سيدتي ـ

قبيل أن يطيرْ . .
فساعديني . . .
ـ إن تكرمتِ ـ لكي أصالحَ الحريرْ
وساعديني . .
ـ إن تكرمتِ ـ لكي أفوزَ في صداقةِ الكشميرْ .
لعله يسمحُ لي برسمِهِ ذا الكوكبِ المثيرْ . .
ولتقبلي تحيتي . .
مقرونةً بالحبِّ والتقديرْ .

***

من غير يدين

لم أكَنْ منتظرا . .
أن تـثـقبيني مثلَ رمحٍ وثـنيْ
لم أكن منـتظرا . .
أن تدخلي في لغتي . . وكلامِي . .
وإشاراتِ يدي
لم أكنْ منتظرا . .
أن أخسرَ التاجَ . . وحقي بالخلافهْ . .
فـلـقد كنت قـويًّا . . وشهيراً
وجنودي يملأونَ البرَّ والبحر . .

ورایاتي تغطي المشرقَيْن
لم أكن منتظراً أن يحدثُ الزلزالُ . . أن ينشطرَ البحرُ . .
وأن تكسرني عيناك ، يوماً ، قطعتيـنْ . .

❊ ❊ ❊

لم أكن منتظرًا . .
حين قبّـلتُك أن أنسى لديْك الشفتين لم أكن منتظرًا . .
حين عانقتُك . . أن أرجعَ من غيرِ يدينْ . . .

❊ ❊ ❊

التقصير

منذُ ثلاثين سنهْ
أحلمُ بالتغيير
وأكتبُ القصيدةَ الثورةَ .. والقصيدةَ الأزمةَ .. والقصيدةَ الحريرْ...

❊ ❊ ❊

منذ ثلاثين سنهْ
ألعب باللغاتِ مثلما أشاءْ
وأكتبِ التاريخَ بالشكلِ الذي أشاءْ..
وأجعلُ النقاط، والحروفَ، والأسماءَ، والأفعالَ،
تحتَ سلطةِ النساءْ.

وأدعي بأنني الأولُ في فنِّ الهوى..
وأنني الأخيرْ..

* * *

وعندما دخلتُ.. يا سيدتي
إلى بلاطِ حبِّك الكبيرْ..
انكسرتْ فوق يدي قارورةُ العبيرْ
وانكسر الكلامُ يا سيدتي على فمي وانكسرَ التعبيرْ...

***

ولا أزالُ كلما سافرت في عينيْك.. يا حبيبتي أشعرُ بالتقصير..
وكلما حدقتُ في يديْك يا حبيبتي
أشعرُ بالتقصيرْ..
وكلما اقتربتُ من جمالِك الوحشي يا حبيبتي أشعُر بالتقصير..
وكلما راجعتُ أعمالي التي كتبتُها..
قُبيلَ أن أراكِ يا حبيبتي..
أشعرُ بالتقصيرْ..
أشعرُ بالتقصيرْ..
أشعرُ بالتقصيرْ..

* * *

قصيدة سريالية

-١-

لا أنتِ ، يا حبيبتي ، معقولةٌ
ولا أنا معقولْ..
هل من صفاتِ الحبِّ..
أن يحطمَ العادي ، والمألوفَ ، والمعقولْ ؟
هل من شروطِ الحبِّ..
أن نجهلَ ، يا حبيبتي ، أسماءَنا ؟
هل من شروط الحبِّ ، يا حبيبتي ؟
أن لا نرى أمامَنا..
ولا نرى وراءَنا..
هل من شروط الحبِّ يا حبيبتي ؟
بأن أسميَّ قاتلاً حينَ أنا المقتولْ..

-٢-

لا أنتِ يا حبيبتي معقولةٌ
ولا أنا معقولْ
فشطّبي حينَ أكونُ غاضبا من كلماتي ، نصف ما أقول..
وهذّبي مشاعري..
وقلّمي أظافري..

ولملمي جميعَ ما أرميه من شوكٍ ومن وحول وصدقيني دائما..

حين أجيءُ حاملا يا حبيبتي
الأزهارَ.. والأقمارَ.. والفصولْ..

-٣-

لا أنت يا حبيبتي معقولةٌ
ولا أنا معقولْ..
ورغم هذا..
يستمر الرفضُ والقبولْ
ورغمَ هذا..
يستمر الضحكُ، والصراخُ، والشروقُ، والأفولُ
فما الذي نخسرُ يا حبيبتي ؟
لو أنت قد أعطيتني يديْكِ
وسافرتْ يداي فوق الذهبِ المشغولْ
وما الذي نخسر يا مليكتي
لو انطلقنا مثلَ عصفوريْن في الحقول
وما الذي نخسرُ يا أميرتي ؟
إذا طبعتُ قبلةً في الأحمرِ الخجونْ..
وما الذي نخسرُ يا سبيكتي ؟

إذا ارتفعنا مثلَ صوفيٍّ إلى مرتبة الفناءِ والحُلُول
وما الذي نخسرُ يا حبيبتي ؟
لو نحن صلينا على الرسول..

***

من يوميات رجل مجنون

-١-

إذا ما صرختُ:
أحبُّك جدا
أحبك جدًّا
فلا تُسكتيني.
إذا ما أضعتُ اتزاني
وطوقتُ خصرَك فوقَ الرصيف ، فلا تنهريني..
إذا ما ضربتُ شبابيك نهديْك كالبرقِ ، ذاتَ مساءٍ
فلا تُطفئيني..
إذا ما نزفتُ كديك جريحٍ على ساعديْك فلا تسعفيني..
إذا ما خرجتُ على كلِّ عُرَف ، وكل نظامٍ فلا تقمعيني..
أنا الآنَ في لحظاتِ الجنونِ العَظيم
وسوف تُضيعين فرصةَ عمرك

إن أنت لم تستغلي جُنوني.

-٢-

إذ ما تدفقتُ كالبحرِ فوقَ رمالك..
لا توقفيني..
إذا ما انكسرتُ فتافيتَ ضوءٍ على قدميْك، فلا تسحقيني..

-٣-

إذا ما ارتكبتُ جريمةَ حبٍّ..
وضَيَّع لون البرونزِ المعتقِ في كتفْيك .. يقيني
إذا ما تصرفتُ مثلَ غلام شقي
وغطَّستُ حَلْمَة نَهدِك بالخمرِ... لا تضربيني.
أنا الآنَ في لحظاتِ الجنونِ الكبير
وسوف تضيعين فرصةَ عمرِك، إن أنت لم تستغلي جنوني.

-٤-

إذا ما كتبتُ على ورقِ الورد، أني أحبُّك..
أرجوك أن تقرأيني..
إذا ما رقدتُ كطفلٍ، بغاباتِ شعرِك، لا توقظيني.
إذا ما حملتُ حليبَ العصافير .. مَهرا
فلا ترفضيني..
إذا ما بعثتُ بألف رسالةِ حبٍّ

إليك...
فلا تُحرقيها . ولا تُحرقيني..

-٥-

إذا ما رأوك معي ، في مقاهي المدينة يومًا ،
فلا تنكريني..
فكلُّ نساءِ المدينة يعرفن ضعفي أمام الجمال..
ويعرفن ما مصدر الشعرِ والياسمين..
فكيف التخفي ؟
وأنت مصوَّرةٌ في مياهِ عيوني.
أنا الآن في لحظاتِ الجنونِ المضيء
وسوف تضيعين فرصةَ عمرِك ،
إن أنت لم تستغلي جنوني.

-٦-

إذا ما النبيذ الفرنسي ، فكَّ دبابيسَ شعرِك دون اعتذار
فحاصرني القمحُ من كلِّ جانب
وحاصرني الليلُ من كلِّ جانب
وأصبحت آكلُ مثلَ المجانين عُشبَ البراري..
وما عدت أعرفُ أين يميني..
وما عدت أعرف أين يساري؟

-٧-

إذا ما النبيذُ الفرنسي ، ألغى الفروقَ القديمةَ بين بقائي
وبين انتحاري
فأرجوكِ ، باسم جميع المجاذيب ، أن تفهميني
وأرجوك ، حين يقول النبيذ كلاما عن الحب..
فوقَ التوقع .. أن تعذريني.
أنا الآن في لحظاتِ الجنون البَهيّ
وسوف تضيعين فرصةَ عمرِك
إن أنت لم تستغلي جنوني..

-٨-

إذا ما النبيذُ الفرنسيُّ ، ألغى الوجوه ،
ألغى الخطوطَ ،
ألغى الزوايا.
ولم يبقَ بين النساءِ سواك.
ولم يبقَ بين الرجال سوايا.
وما عدت أعرفُ أين تكون يداك..
وأين تكونُ يدايا
وما عدت أعرفُ كيف الفرقِ بين النبيذَ ، وبين دِمايا..
وما عدت أعرفُ كيف أميز بينَ كلامٍ يديك

وبين كلام المرايا..
إذا ما تناثرتُ في آخر الليلِ مثلَ الشظايا
وحاصرني العشقُ من كلِّ جانب
وحاصرني الكحلُ من كلِّ جانب
وضيعتُ اسمي ..وعنوان بيتي..
وضيعتُ أسماءَ كلِّ المراكبْ
فأرجوك ، بعدَ التناثرِ ، أن تجمعيني
وأرجوك ، بعد انكساري ، أن تُلصقيني
وأرجوك بعد مماتي ، أن تبعثيني..
أنا الآن في لحظاتِ الجنونِ الكبير
وسوف تضيعين فرصةَ عمرِك
إن أنت لم تستغلي جُنوني.

-٩-

إذا ما النبيذُ الفرنسي ،
شال الكيمونُو عن الجسد الآسيوي
فأطلع منه بهاراً
وأطلعَ منه محاراً
وأطلعَ منه نحاساً، وشاياً، وعاجا
وأطلع أشياءَ أخرى..

إذا ما النبيذُ الفرنسيُّ ، ألغى اللغاتِ جميعاً.
وحولَ كلَّ الثقافاتِ صفراً...
وحول ثغرَك بستانَ وردٍ
حَول ثغري خمسين ثغراً..
إذا ما النبيذ الفرنسي أعلن في آخر الليل ،
أنك أحلى النساءِ .. وأرشقهن قواما وخصرا
وأعلن أن الجميلاتِ في الكون نثرٌ
ووحدك أنت التي صرت شِعْرًا
فباسم السكارَى جميعا
وباسمَ الحيارَى جميعا
وباسمَ الذين يعانون من لعنة الحب ،
أرجوك لا تلعنيني..
وباسم الذين يعانون من ذبحة القلب ،
أرجوك لا تذبحيني..
أنا الآن في لحظاتِ الجنون العظيم...
وسوف تضيعين فرصةَ عمرك ،...
إن أنت لم تستغلي جنوني.....

* * *

فاطمة في الريف البريطاني

-١-

شهرُ ديسمبر رائعْ...
شهر ديسمبر في لندن، هذا العام، رائع
فبه هاجمني الحب..
وألقاني جريحا كمصابيح الشوارع..
هذه فاطمةُ تلبسُ بنطالا مَن الجلدِ نبيذيا..
وتوصيني بأن أمسكها من يدها كي لا أضيع وهي تدري جيدا..
أنني من يوم ميلادي، ببحر الحب ضائع
فلماذا في (هارودز) نسيتني..
ولماذا غضِبت مني ..لماذا أغضبتني ؟
وهي تدري أنيَ من دونها..
لا أقطع الشارع وحدي..
لا و لا أشربِ فنجانا من القهوة وحدي..
لا ولا أعرفُ أن أرجعَ للفندقِ وحدي..
فلماذا في (هارودز) صلبتني ؟
فوق أكداسَ هداياها .. لماذا .. لماذا صلبتني؟

وهي تدري أنني أعبدُها
من رأسِها حتى الأصابعْ..
شهرُ ديسمبر رائعْ.

-٢-

شهر ديسمبر ، يبقى مَلِكا بينَ الشهورْ
فهو أعطاني مفاتيحَ السماوات..
وأعطاني مفاتيحَ العصور..
ورماني كوكبا مُشتعلا حولَ نهديْك يدور..
سَقَطَتْ في لندن، كلُّ التواريخ، وغابت تحت جفنيك جبالٌ وبحور
شهر ديسمبر، ألغاكِ .. وألغاني
فنحنُ الآن ضوء غير مرئي..
وعطر .. وبخُور..
شهر ديسمبر .. مجنونٌ تعلمتِ بِه .. أن تثوري..
وتعلمتِ به كيف أثور..
شهر ديسمبر..
ألغى عقدةَ الحبِّ التي نحملُها
فإذا بي مثلُ عصفورٍ طليق..
وإذا بك ، يا فاطمةُ ، دونَ جذور.

-٣-

لندن .. باردةٌ جدا..
فيا فاطمةُ..
افتحي فوقي مظلاتِ الحنان
لندن قاسيةٌ جدّاً ..
وإني خائفٌ جدًّا..
فردِّي لي شعوري بالأمان
خبئيني تحتَ قفطانِك ، يا فاطمةُ مثلَ طفل..
فلقد ضيعت أبعادي ، وأبعادَ المكان
حاولي أن تصبحي أمي .. كما أنتِ الحبيبهْ
من زمانٍ .. لم أضعْ رأسي على صدر حنونْ..
من زمانْ...

-٤-

لندن حُبي ..وفي باراتِها غنيتُ أحلى أغنياتي
لندن مجدِي..
ففيها قد تغرغرتُ بأولى كلماتي..
لندن حُزني..
على كلِّ رصيف دمعةٌ من دمعاتي
لندن عاصمةُ القلب..

وفيها قد تلاقيتُ بستِّ الملكات..
لندن ، تعرفُ وجهي جيدا..
فأنا جزءٌ من اللونِ الرمادي..
ومن أعمدةِ النور..
وأضواءِ الميادين..
وصوتِ القُبُّراتِ..
منذ أن جئتُ إليها عاشقا
أصبحتْ لندن إحدَى المعجزاتِ..
لندن .. تأخذني كالطفلِ في أحضانها..
وطوالَ الليلِ ، تتلو من كتابِ الذكريات..
لندن صاحبةُ الفضلِ .. فقد علمتني العشقَ في كلِّ اللغات ..

-٥-

هذه فاطمةٌ..
تقتحمُ التاريخَ من كلِّ الجهات..
إنها تدخلُ كالإبرة..
في كلِّ تفاصيلِ حياتي
آه .. كم تعجبني فاطمةٌ..
عندما تجلسُ كالقطةِ بينَ المفردات..
تأكلُ الفتحةَ .. والضمةَ .. في شعري .. وتَبتلُّ بأمطار دواتي

-٦-

مبحرٌ في زمِن الكحلِ..
ولا أدري لأينَ ؟
مبحرٌ فيك .. ولا أدري لأين ؟
يا صباحَ الخيرِ .. يا عصفورتي
أنا في أحسنِ حالاتي..
فما أطيبَ القَهوةِ في قُربِك..
ما أرشقَ هاتينِ اليدين..
ثم ما أروعَ أن يكتشفَ الإنسانُ في ذاتِ صباحٍ لندني..
في مكانٍ ما .. على ظهرِ الحبيبهْ ... شامَتَيْنْ..
لم تكونا ، عندما جئتِ مساءَ البارحةِ .. مولودين...
فاتركيني..أضفر الشعر الذي طال في لندن ،
من فرط حناني، بوصتين..
واتركيني..
أمسك الشمسَ التي تغطسُ بينَ الشفتين..
اتركيني ، أوقفُ التاريخَ يا فاطمةُ
لحظة .. أو لحظتينْ..
أخذوا كلَّ عناويني ..ولم يبقَ أمامي غيرُ هذا الشارعِ الضيق
بين الناهدين...

-٧-

لندن تمطرني ثلجاً.. وأبقى باشتهائي بدويًا..
لندن تمنحني كل الثقافات .. وأبقى بجنوني عربيًا..
لندن تمطرني عقلا.. وأبقى فوضويًا..
لندن تجهل حتى الآنَ .. من أنت لديًا
آهِ .. يا سنجابةَ الليلِ التي تدخلُ في الأعماقِ رمحا وثنيًا..
إن تاريخَك قبلَ أن يرسلَكِ اللهُ إليَّ
كان عصرا حجريًا..
فاشربي شيئا من الخمرِ معي..
اشربي شيئا من الحُلمِ معي..
اشربي شيئا من الوهمِ معي..
اشربي شيئا من الفَوْضَى معي..
اشربي حتى تصيري امرأةً..
واتركي الباقي عليَّ...

-٨-

شهرُ ديسمبر يأتي
لابساً معطفَ شاعر
شهر ديسمبر يهديني دموعًا.. وشموعًا.. ودفاترْ..
هذه فاطمةُ تلبسُ كيمونو من الصين..

موشًى بالأزاهرْ..
شايُ بعد الظهرِ من بينِ يديها
مهرجاناتٌ من اللون..
وموسيقى أساورْ..
لم تكن فاطمةُ مشرقةَ الوجه كما كانت (بهارلو)..
لم تكن صافية العين كما كانت (بهارلو)..
لم تكن معتزة النهدين من قبل..
كما كانت (بهارلو)..
لم تكن ملفوفةَ الخصر..
كما كانتْ (بهارلو)..
لم يكن يسكنُها الشعرُ..
كما كانت (بهارلو)..
لم يكن يسكنها الشعر..
كما كانت (بهارلو)..
إنني آمنت أن الحبَّ ساحرْ..

-٩-

هذه فاطمةٌ..
تغسلُ نهديها النحاسيينِ بالماءِ.. كطائر
وأنا في الغرفةِ الخضراء أستلقي سعيدا

تحت أشجار الكاكاو
وهتافاتِ المرايا والستائر..
فاشربي شيئا من الشعرِ معي..
فأنا دونك يا سيدتي لستُ بشاعر
اشربي حتى تصيري امرأةً..
إن حبي لك مجنونٌ .. وملعونٌ .. ووحشي الأظافر..

-١٠-

ورقُ الأشجار في (مارلو)..
نحاسيٌّ.. ووردِيٌّ، وأصفرْ..
ولقائي بك في الريفِ البريطاني حلمٌ لا يُفسَّرْ..
والعصافيرَ ترى ثغرَكِ في أحلامِها وردة .. أو نجمةً .. أو قرصَ سُكر
وأن معتقلٌ ما بينَ نهديك..
ولا أطلبُ يا سيدتي أن أتحررْ..
آه .. يا قطة (مارلو)..
ليتني أقدرَ أن أغرقَ في فروك أكثر...
ليتني أقدرُ أن أبقى..
بهذا الفندق الضائع بينَ الغَيْم أكثرْ
ليتني أقدرَ أن أدخلَ في جلدِكَ..

في شعرِك..
في صوتِك أكثر
آه.. يا أيتها الأنثى التي لا تتكرر
هل عشقتُ امرأة قبلَك .. يا فاطمة ؟
إنني لا أتذكر .. هل سأهوى امرأةً بعدِك .. يا فاطمة
إنني لا أتصور..

-١١-

آهِ .. يا قطة (مارلو) الساحرة
علميني .. كيف تُلغى الذاكره
هل سألقاك (بمارلو) ؟.
بعد عام ربما أو بعدَ شهر..
فتنامينً على أعشابِ صدري..
وتفيقين على أعشابِ صدري..
قبل (مارلو) ليس لي عمرٌ . فأنتِ الآن عمري..
بعد (مارلو) سيقول الناس:
ما أجملَ عينيك .. وما أعظمَ شِعري..
لم أشاهدْ ليلةَ القدر..
فهل أنتِ، يا فاطمةُ، ليلة قدري ؟؟

-١٢-

ارجعي مرة أخرى إلى (مارلو)..
ففيها عشتُ عصري الذهبيا..
لم يرَ الريفُ البريطاني من قبلك عينين تقولان كلاما عربيا..
قبلِ أن ألقاكِ في فندق (مارلو)
كنتُ إنسانا..
وأصبحتُ نبيا..
ارجعي لي غرفتي في ملتقى النهر ، وأحلامي..
وركني الشاعريا..
قبل (مارلو) لا يساوي العمرُ شيا
بعد (مارلو) لا يساوي العمر شَيًّا
إن عينيك هما ما كتبَ اللهُ عليا
فاتركيني نائما بينَهما..
واقفلي الباب عَلَيًّا..

***

مع فاطمة في قطار الجنون

-١-

ابحثي عن رجلٍ غيري..
إذا كنت تريدينً السلامهْ..

كل حُبٍّ حارقٍ..
هو يا سيدتي ضِدَّ السلامهْ
كل شِعْرٍ خارقٍ.. هو في تشكيلهِ ضدُّ السلامهْ
فابحثي عن رجلٍ غيري..
إذا كنت تحسينَ بأصواتِ الندامهْ
ابحثي عن رجل..
يمتلك القدرةَ والصبرَ.. لتثقيف حمامهْ
فأنا من قبل.. ما حاولت تثقيفَ حمامهْ...
إن حبي لك يا سيدتي
أشبَهُ بيوم القيامهْ..
من تُرى يَقدرُ أن يهربَ من يومِ القيامهْ ؟
فاقبلي ما قسمَ اللهُ عليك..
بإيمانٍ عميقٍ. .وابتسامهْ..
واتبعيني..
عندما أركبُ في الليلِ قطاراتِ الجنون..
طالما أنتِ معي..
لستُ مهتماً بما كان..
وما سوف يكونْ...

-٢-

آهٍ.. يا سنبلةَ القمح التي تخرج من وسطِ الدموع
دخلَ السيفُ إلى القلبِ ، ولا يمكننا الآنَ الرجوعْ
إننا الآنَ على بوابةِ العشقِ الخطيرهْ..
وأنا أهواك حتى الذبح..
حتى الموتَ .. حتى القشعريرهْ..
نحن مشهوران جدا..
وجريئانِ على التاريخ جدا..
والإشاعاتِ كثيرهْ..
هكذا يحدثُ دوما في العلاقاتِ الكبيرهْ..
آه .. يا فاطمتي..
يا التي عشت وإياها ملايين الحماقات الصغيرهْ
إنني أعرف معنى أن يكونَ المرءُ في حالة عشق خلفَ أسوار الزمان العربي
وأنا أعرف معنى أن يبوحَ المرء..
أو يهمس..
أو ينطقَ..
في هذا الزمانِ العربي..
وأنا أعرفُ معنى أن تكوني امرأتي

رغمَ إرهابِ الزمانِ العربي..
فأنا تطلبني الشرطةُ للتحقيقِ في ألوان عينيك..
وفيها تحتَ قمصاني..
وفيها تحتَ وجداني..
وأسفاري .. وأفكاري .. وأشعاري الأخيرهْ ..
وأنا لو أمسكوني..
أسرق الكحلَ الذي يمطر من عينيك..
صادتني بواريدِ العشيرهْ..
فافتحي شعرَك عن آخره..
إنني مضطهدٌ مثلَ نبيّ..
ووحيدٍ كجزيرهْ..
افتحي شعرَك عن آخرِه..
وانزعي الدبابيسَ ..فهذي فرصةُ العمرِ الأخيرهْ

-٣-

آه .. يا أيقونةَ العمرِ الجميلهْ
يا التي تأخذني كلَّ صباح منِ يدي نحوَ ساحاتِ الطفولهْ..
وتريني تحتَ جفنيْها شموساً مستحيلهْ..
وبلاداً مستحيلهْ..
أنها الكَنزُ الخرافي الذي كان معي في قطاراتِ الشمال..

إن حبرَ الصينِ في عينيْك يا سيدتي فوقَ احتمالي
يا التي تمرق من بينِ شراييني ..كعطرِ البرتقال..

-٤-

يا التي تشطرني نصفين في الليلِ ..
وعند الفجر ، تلقيني على ركبتِها .. نصفَ هلال. .
يا التي تحتلني شرقًا .. وغربا .. ويمينًا .. وشمالا..َ
استمري في احتلالي..
أنا مشتاقٌ إلى أيام (وندرمير)..
مشتاقٌ لأن أمشيَ وإياكِ على الماءِ..
وأن أمشي على الغيْم..
وأن أمشي على الوقت..
ومشتاق لأن أبكي على صدرِك حتى آخرَ العمرْ..
وحتى آخرِ الشعر..
ومشتاق لحاناتِ الضواحي..
وكراسينا أمامَ النارِ..
مشتاقٌ إلى كلِّ الذُّرَى البيضاء..
حيث اختلط الكحلُ الحجازيُّ مع الثلج..
ومشتاق إلى شيءٍ من الكونياكِ .. في بردِ الليالي..

-٥-

آهِ. .يا عصفورةَ الماءِ التي تجلسُ قربي..
في قَطاراتِ الشمالِ..
امسكيني من ذراعي جيدا..
فالقراراتُ التي يصدرُها السلطان لا تشغل بالي..
وملفاتي لدى الشرطةِ لا تشغل بالي..
وحدُه حبُّك يا سيدتي يشغل بالي..
نحنُ قامرنا كثيرا..
وتطرفْنا كثيرا..
وتجاوزْنا إشارات المرور..
فامسكيني من ذراَعي جَيدا..
لتدورَ الأرضُ..
فالأرضُ بلا حبٍّ كبيرٍ .. لا تدورْ..

***

أحبك ... أحبك ... وهذا توقيعي..

-١-

هل عندك شكٌّ أنك أحلى امرأةٍ في الدنيا ؟.
وأهمُّ امرأةٍ في الدنيا ؟.

هل عندك شكٌّ أني حين عثرت عليك ..
ملكتُ مفاتيحَ الدنيا؟.
هل عندك شك أني حين لمست يديك
تغير تكوينُ الدنيا ؟
هل عندك شك أن دخولك في قلبي
هو أعظمُ يوم في التاريخ..
وأجملُ خبرٍ في الدنيا ؟

-٢-

هل عندكِ شكٌّ في من أنت ؟
يا من تحتلُّ عينيها أجزاءَ الوقت
يا امرأة تكسرُ ، حين تمرُّ ، جدارَ الصوت
لا أدري ماذا يحدث لي ؟
فكأنك أنثايَ الأولى
وكأني قبلُك ما أحببتْ
وكأني ما مارستُ الحبَّ .. ولا قَبَّلت لا قُبِّلت..
ميلادي أنت .. وقبلُك لا أتذكرُ أني كنتُ وغطائي أنت، ..
وقبلَ حنانِك لا أتذكر أني
عشتْ..
وكأني أيتُّها الملكهْ..

من بطنِك كالعصفورِ خرجتْ..

-٣-

هل عندَك شكٌّ أنك جزءٌ من ذاتي
وبأني من عينيك سرقت النار..
وبأني من عينيْك سرقتُ النار..
وقمتُ بأخطرِ ثوراتي
أيتها الوردةُ .. والياقوتةُ .. والريحانهْ..
والسلطانةُ .. والشعبيهْ..
والشرعيةُ بينَ جميع الملكات..
يا سمكاً يسبحُ في ماءِ حياتي
يا قمرا يطلعُ كل مساءٍ من نافذة الكلمات..
يا أعظمَ فتحٍ بينَ جميعِ فتوحاتي
يا آخرَ وطنٍ أولدُ فيه..
وأدفنُ فيه..
وأنشرُ فيه كتاباتي

-٤-

يا امرأةَ الدهشةِ..
يا امرأتي
لا أدري كيفَ مشيتِ إليَّ..

وكيفَ مشيتُ إليكِ..
يا من تتزاحمُ كلُّ طيورِ البحر..
لكي تستوطنَ في نهديك..
كم كان كبيرا حظي حينَ عثرتُ عليك..
يا امرأةً تُدخلُ في تركيبِ الشِّعر..
دافئةٌ أنت كرملِ البحر..
رائعةٌ أنت كَلَيْلَةِ قَدْر..
من يومِ طرقتِ البابَ عليَّ..ابتدأ العمرْ..

-٥-

كم صارَ جميلا شِعري..
حين تثقَّفَ بين يديْك ،،
كم صُرت غنيا.. وقويا..
لما أهداكَ اللهُ إليَّ..
هل عندَك شكٌّ أنك قبسٌ من عيني
ويداك هما استمرارٌ ضوئيٌّ ليديَّ
هل عندَك شك..
إني فيك.. وأنك فيَّ؟

-٦-

يا ناراً تجتاحُ كياني

يا ثمراً يملأُ أغصاني
يا جسدًا يقطعُ مثلَ السيف ، ويضربُ مثل البركان
يا نهدا.. يعبقُ مثلَ حقولِ التبغِ
ويركضُ نحوي كحصان..
قولي لي:
كيف سأنقذُ نفسي من أمواجِ الطوفان..
قولي لي:
ماذا أفعلُ فيك ؟،
أنا في حالةِ إدمانْ..
قولي ما الحلُّ ؟ فأشواقي
وصلتْ لحدودِ الهذيان...

-٧-

يا ذاتَ الأنفِ الإغريقي..
وذاتَ الشعرِ الإسباني
يا امرأةً لا تتكرر في آلاف الأزمان..
يا امرأةً ترقصُ حافيةَ القدمين بمدخلِ شرياني
من أينَ أتيتِ ؟ وكيف أتيت ؟
وكيف عصفتِ بوجداني ؟
يا إحدى نعمِ اللهِ عليَّ..

وغيمةَ حبٍّ وحنانْ..
يا أغلى لؤلؤةٍ بيدي..
آهٍ.. كم رَبي أعطاني..

***

حبيبتي تقرأ فنجانها

-١-

توقفي ..أرجوك .. عن قراءةِ الفنجان
حين تكونين معي.. لأنني أرفض هذا العبث السخيف ،
في مشاعر الإنسان.
فما الذي تبغين ، يا سيدتي ، أن تعرفي ؟
وما الذي تبغين أن تكتشفي ؟.
أنت التي كنتِ على رمالِ صدري .. تطلبين الدفءَ والأمانْ
..وتصهلين في براري الحبِّ
كحصانْ
ألم تقولي ذاتَ يومٍ .. إن حبي لك من عجائبِ الزمان ؟
ألم تقولي إنني..
بحرٌ من الرقة والحنانْ ؟
فكيف تسألينَ ، يا سيدتي ..
عني ..ملوكَ الجان ؟

حين أكونُ حاضرا ..
وكيف لا تصدقين ما أنا أقوله ؟
وتطلبين الرأيَ من صديقِك الفنجانْ...

-٢-

توقفي .. أرجوكِ .. عن قراءةِ الغيوب..
إن كان من بشارةٍ سعيدةٍ. .
أو خبرْ..
أو كان من حمامةٍ تحملُ في منقارِها مكتوبْ..
فإنني الشخصُ الذي سيطلقُ الحمامهْ..
وإنني الشخص الذي سيكتبُ المكتوبْ..
أو كان يا حبيبتي من سفر . .
فإنني أعرفُ من طفولتي .. خرائطَ الشمالِ والجنوب..
وأعرف المدائنَ التي تبيعُ للنساءِ أروعَ الطيوب..
وأعرف الشمسَ التي تنام تحتَ شرشفِ المحبوب..
وأعرف المطعمَ الصغيرَ الذي يشتبك الأيدي به..
وتهمسِ القلوبُ للقلوبْ..
وأعرفُ الخمرَ التي تفتح يا حبيبتي نوافذَ الغروب
وأعرف الفنادقَ الصغرى التي تعفو عن الذنوبْ
فكيف يا سيدتي ؟

لا تقبلين دعوتي
إلى بلادٍ هربتْ من معجمِ البلدان
قصائدُ الشعر بها..
تنبتُ كالعُشبِ على الحيطان..
وبحرُها..
يخرجُ منه القمحُ ..والنساءُ .. والمرجانْ..
فكيف يا سيدتي..
تركتني ..منكسرَ القلبِ على الإيوانْ
وكيف يا أميرةَ الزمان ؟.
سافرتِ في الفنجان...

-٣-

توقفي فورا..
فإني لستُ مهتما بكشفِ الفال..
ولست مهتما بأن أقِيمَ أحلامي على رِمالْ
ولا أرى معنى لكلِّ هذه الرسومِ ، والخطوطِ ، والظلالْ..
مادام حبي لك يا حبيبتي ..
يضربني كالبرقِ والزلزال..
فما الذي يفيدُك الإسرافُ في الخيال ؟
ما دام حبي لك يا حبيبتي

يُطْلِعك كلَّ لحظةٍ سنابلا من ذهب .. وأنهرا من عسل ..
وعطر برتقال..
فما الذي يفيدُك السؤال ؟
عن كل ما يأتيك من رَسائلٍ
وكل ما يأتيك من أطفالْ..
وكيف ، يا سيدتي ،يفكرُ الرجالْ..

***

توقفي فورًا..
فإني أرفضُ التزييفَ في مشاعرِ الإنسان
توقفي ..توقفي..
من قبِل أن أحطمَ الفنجانْ...

***

إلى ممثلة فاشلة

- ١ -

في طبعِكِ التمثيلْ
في طبعِكِ التمثيلْ
ثيابُك الغريبةُ الصارخةُ الألوان..
وصوتُك المفرطُ في الحنان..

وشعرُكِ الضائعُ في الزمانِ والمكانْ
والحَلَقُ المغامِرُ الطويلْ
جميعُها .. جميعُها..
من عدةِ التمثيلْ..

- ٢ -

سيدتي : إياك أن تستعملي قصائدي
في غرضِ التجميلْ.
فإنني أكره كلَّ امرأة
تستعملُ الرجالَ للتجميل
لستُ أنا .. لستُ أنا..
الشخصَ الذي تُعلِّقين في الخزانهْ
ولا طموحي أن أسمى شاعرَ السلطانهْ أو أكون قطةً تركيهْ
تنام طولَ الليل تحتَ شعركِ الطويل فالـدورُ مستحيل.
لأنني أرفـض كل امرأة .. تحبني .. في غرضِ التجميل..

- ٣ -

لا تسحبيني من يدي..
إلى مشاويركِ مثلَ الحَمْلِ الوديع.
لا تحسبيني عاشقا من جملةِ العشاقِ في القطيع.
ما عدت أستطيعُ أن أحتمل الإذلال يا سيدتي ،

والريح .. والصقيع..
ما عدت أستطيعْ..
نصيحتي إليك .. أن لا تصبغي الشفاهْ من دمائي
نصيحتي إليك .. أن لا تقفزي من فوقِ كبريائي
نصيحتي إليك .. أن لا تعرضي رسائلي
التي كتبتُها إليك كالإماء..
فإنني آخرُ من يُعـرَضَ كالخيولِ في مجالسِ النساء..

- ٤ -

نصيحةٌ بريئةٌ إليك .. يا عزيزتي
لا تحسبيني وصلةً شعريةً أكون فيها نجمَ حفلاتك..
أو تحسبيني بطلا من ورقٍ يموتُ في إحدى رواياتك
أو تُشعليني شمعةً لتضمني نجاحَ سهراتِك..
أو تلبسيني معطفًا لتعرفي رأيَ صديقاتك..
أو تجعليني عادةً يومية من بين عاداتِكْ..

- ٥ -

نصيحةٌ أخيرةٌ إليك .. يا عزيزتي
لا تستغلي الشِّعْر حتى تُشبعي إحدى هواياتِك
فلن أكون راقصا محترفا...
يسعى إلى إرضاءِ نزواتِك

وها أنا أقدمُ استقالتي
من كل جناتكْ...

❊ ❊ ❊

العصفور

- ١ -

لو حميناه من البردِ قليلا ..
وحميناه من العينِ قليلا..
لو غسلنا قدميه بمياه الوردِ والآس قليلا..
آهِ .. لو نحنُ أخذناه إلى ساحات باريس العظيمه
وتصورنا معه..
مرةً في ساحة (الفاندوم) أو في ساحةِ (الباستيل)
أو في الضفة اليسرى من السين..
آهٍ .. لو تدحرجنا على الثلجِ معه.
وهو بالقبعةِ الزرقاء يجري..
ودموعي جدولٌ يجري معه..

- ٢ -

آهٍ .. لو نحن أخذناه إلى عالمِ (ديزني)..
وركبنا في القطارات التي تمرقُ من بينِ ملايين الفراشات

إلى قوس قزح..
أهٍ .. لو نحنُ استجبنا لأمانيهِ الصغيرات..
وآهٍ .. لو أكلنا معه (البيتزا) بروما. .
وتجولنا بأحياءِ فلورَنْسا..
وتركناه ليرمِيَ خبزَه لطيورِ (البندقيه)..
فلماذا هرب العصفورُ منا يا شقيَّهْ ؟
قد رسمناه بأهدابِ الجفونْ
ونحتــناه بأحداقِ العيونْ
وانتظرناه قــرونا .. وقــرونْ
فلماذا هربَ العصفورُ منا ؟
دون أن يلقي التحيهْ...

- ٣ -

ربما ... لو أنتِ من جنتِك الخضراءِ ، يا سيدتي .. لم تطرديه
ربما .. لو أنت ، يا سيدتي ، بم تقتليه .. كان سلطانَ زمانِهْ..
ربما .. لو كان حَيًّا
دخلَ الشمسَ على ظهرِ حصانهْ
ربما .. لو قالَ شِعرا..
يقطرُ السكرُ من تحتِ لسانه
ربما .. لو شاءَ يومًا أن يغني..

يطلع الوردُ على قوسِ كمانِه..
ربما .. لو ظلَّ حيا..
حرك الأرضَ بأطرافِ بَنــانِه..

- ٤ -

لا تقولي : (لا تؤاخذني)..
فـقـد كان قـضاءً وقـدرْ..
هل يكون الجهلُ والسخفُ قضاءٌ وقـدرْ ؟
قمرا كان..
ومن يقتـــُلُ ، يا سيدتي ، ضوءَ القمر ؟
وَتــَـرًا كان..
ومن يقطعُ من عودٍ وتر ؟
مطرا كان..
ولن يأتي إلينا مرةً أخرى المطر..
أنت لو أعطيته الفرصةَ يا سيدتي..
ربما كان المسيحَ المنتظرْ...

- ٥ -

آهٍ .. يا قاتلةَ الحُلم الجميلِ المبتكرْ..
مؤسف أن يقتلَ الإنسانُ حلما..
مؤسف أن تكسري في الأفقِ نَجما..

يا التي تبكي طوالَ الليلِ عصفورَ الأملِ سبق السيفُ العزلْ..
لا تلوميني إذا ما يبس الدمعُ بعينيّ
وصار القلبُ فحما..
فأنا كنتُ أبا..
مدهشَ الأحلامِ .. لكنْ
أنتِ ، يا سيدتي ، ما كنت أمّـا

***

فاطمة في ساحة الكونكورد

- ١ -

يُمطرُ عليَّ كحلُك الحجازيّ
وأنا في وسطِ ساحةِ (الكونكوردْ)
فأرتـبك..
وترتُبك معي باريسْ
تسقطُ حكومةٌ .. وتأتي حكومهْ
وتطير الجرائدُ الفرنسيةُ من أكشاكِها
وتطير الشراشفُ من فوقِ طاولاتِ المقاهي..
وتطلبُ العصافيرُ اللجوءَ السياسيْ
إلى عينيك العربيتينْ...

- ٢ -

أيتها العربيةُ الداخلةُ كالخنجرِ في صباحاتِ باريس
يا من ترشفين القهوةَ بالحليب
وترتشفين معها كرياتي الحمراءَ والبيضاءْ
ما كان في حسابي أن ألاقيَك في محطةِ الحزنِ وأن تلطقتيني بأهدابِ حنانِك
وأنا في ذروةِ البردِ، والخوفِ، والانكسارِ
لكنْ باريس قادرةٌ على كلِ شيء..
ونبيذُ بوردو الأحمرُ، هو الذي سيلغي الفروقَ بين صقيعِ أوروبا..
وشموسِ العالمِ الثالث
بين حيائِك الجَميل...
وبينَ جنوني...

- ٣ -

أيتها العربيةُ التي تتكسر على أرصفة (المونمارتر) فتافيتَ ياقوتٍ..
وغابةَ سيوف..
يا منْ يتصالحُ في عينيها الضوءُ .. والعتمةُ .. والماء .. والحرائق

ما كان في حسابي..
وأنا أتمشى بين (الفاندوم).. و (المادلين)..
أن أدخلَ في جدليةِ اللونِ الأسود
وإشكاليةِ العيونِ الواسعهْ
كخواتم الفضه..
ما كان في حسابي..
أن أدخلَ في تفاصيلِ التاريخِ العربيْ
فلقد تخانقتُ مع تاريخي..
وجئتُ إلى باريس .. لألغي ذاكرتي
ولكن .. ما أن نزلتُ من الطائرةْ..
حتى نزلتْ أثوابك .. ومعاطفك..
وأدواتُ زينتِك معي..
لتسدَّ مداخلَ الطرقات
من مطار (شارل دوغول)
إلى كنيسةِ نوتردام...

- ٤ -

يا فاطمةَ ساحةِ (الكونكورد)..
يا فاطمةَ الفاطماتْ
أيها السيفُ المرصَّعُ بأجملِ الآيات

أيها الخصرُ الذي يقولُ القصائدَ والأغنياتْ
أيتها اللغةُ التي ألغت جميعَ اللغات..
أرحِّب بك في باريس..
وأرجو لك إقامةً سعيدهْ
فوقَ أعشابِ صدري..

- ٥ -

يا ذات الشفتين الممتلئتين كحبتَي فاكههْ..
كم هو استفزازيٌّ نوعُ العطرِ الذي تضعينه
وكم هو رائعٌ إفطارُ الصباح معك ..
وأنت تنقرين قطعة (الكرواسَان) كعصفور
وتنقرين فمي كعصفور
أيتها السنجابةُ الآسيويهْ
التي تنط من أعلى (برج إيفل) إلى صدري..
ولا تخشى الدّوار..
وتستحمُّ بنوافير (قصر فرساي)
ولا تخشى الغرقْ..
وتنام عاريةً على أعشابِ حديقةِ (التويلري)..
ولا تخشى الفضيحهْ..
أيتها العربيةُ التي يُنقّطُ العسلُ من عينيها نقطةً .. نقطهْ..

وينقط الشِّعرُ من شفتِها السفلى
قصيدةً .. قصيدهْ..
ويرنُّ حَلقُها الطويلُ صباحَ يومِ الأحدِ كناقوس كنيسهْ..
ما كان في حسابي..
أن أمرَّ معك ذاتَ يوم تحت قوس النصر
لنضع وردةً على قبر العاشق المجهول..
ولا كان في حسابي..
أن أرى صورتَك في متحِف اللوفر
مع أعمالِ رينوار..
وماتيس..
وسيزان..
وأن أرى أعمالي الشعريهْ
تُباع في مكتباتِ الضفةِ اليسرى
مع أعمالِ رامبو..
وفيرلين..
وجاك بريفير..

- ٧ -

صباحَ الخير..
أيتها العصفورةُ القادمةُ من المياهِ الدافئة

لتغتسلَ بأمطار باريس
وأمطارِ حنيني..
صباحَ الخيرِ..
أيتها السمكةُ التي تـتكلمُ اللغةَ العربيهْ
وتـتهجى كلماتِ الحبِّ باللغة الفرنسيهْ..
وتـتهجاني بكلِّ لغاتِ الأنوثهْ...

- ٨ -

كلما سافرتُ إلى باريس دون َحجز..
تصيرين فندقي...

- ٩ -

صباحَ الخير .. يا بستانَ الزعفران
صباحَ الخير .. يا سجادةَ الكاشان
صباحَ الخير على أصابعِك النائمةِ بين أصابعي..
وعلى معطفِ المطر الذي كنت تلبسينه معي..
وعلى جرائدِ الصباحِ التي كنت تـتصفحينها معي..
صباحَ الخير..
على الكافيتريات التي ثرثرنا فيها..
وعلى البوتيكات التي رافقتُك إليها..
وعلى المرايا التي دخلناها معا...

ثم سافرتِ..
وتركتني حتى الآنَ .. مرسوما عليها...

- ١٠ -

يا فاطمةْ:
يا ذات الشفتين المعطرتين بحَبّ الهال
والقدمين المرسومتين بالأكواريل
لم يكن في حسابي..
أن أدخلَ إلى باريس بجوازِ سفر عربيّ
وأخرج منها..
رئيسا لـلجمهورية الخامسةْ..!!

***

امرأة تمشي في داخلي

- ١ -

لا أحدَ قرأَ فنجاني..
إلا وعرفَ أنك حبيبتي
لا أحدَ درسَ خطوطَ يدي
إلا واكتشفَ حروف اسمِك الأربعةْ..
كلُّ شيءٍ يمكنُ تكذيبه
إلا رائحةَ امرأةٍ نحبها..

كل شيءٍ يمكن إخفاؤُه
إلاِّ خطواتِ امرأةٍ تتحرك في داخلنا..
كُلُّ شيء يمكن الجَـدَل فيه..
إلا أنوثتَك..

- ٢ -

أين أخفيك يا حبيبتي ؟
نحنٍ غابتان تشتعلان
وكلِّ كاميراتِ التلفزيون مسلَّطة علينا..
أين أخبئُك يا حبيبتي ؟
وكل الصحافـيـين يريدون أن يجعلوا منكِ نجمةَ الغلاف..
ويجعلوا مني بطلا إغريقيا وفضيحةً مكتوبهْ..

- ٣ -

أين أذهبُ بك ؟
أين تذهبين بي؟
وكل المقاهي تحفظُ وجوهَنا عن ظهرِ قلب
وكلِ الفنادقُ تحفظ أسماءَنا عن ظهرِ قلب
وكلِّ الأرصفةِ تحفظُ موسيقى أقدامِنا عن ظهرِ قلب..
نحن مكشوفان للعالمِ كشرفةٍ بحريْه
ومرئيان كسمكتين ذَهبيتين..

في إناء من الكريستالْ..

- ٤ -

لا أحد قرأَ قصائدي عنك..
إلا وعرف مصادرَ لغتي..
لا أحدَ سافرَ في كتبي
إلا وصلَ بالسلامةِ إلى مرفأِ عينيك
لا أحدَ أعطيته عنوانَ بيتي
إلا توجه صوبَ شفتيك..
لا أحد فتحَ جواريري
إلا ووجدكِ نائمة هناكَ كفراشهْ..
ولا أحدَ نبش أوراقي..
إلا وعرف تاريخَ حياتِك..

- ٥ -

علميني طريقةً..
أحبسك بها في التاءِ المربوطهْ
وأمنعُك من الخروجِ..
علميني أن أرسمَ حولَ نهديْك دائرةً بالقلم البنفسجي
و أمنعهما من الطيران
علميني طريقةً أعتقلك بها كالنقطةِ في آخر السطر..

علمني طريقةً أمشي بها تحتَ أمطارِ عينيك .. ولا أتبلل
وأشم بها جسدَك المضمخ بالبهارات.. ولا أدوخ..
وأتدحرجُ من مرتفعاتِ نهديك الشاهقين..
ولا أتفتتْ....

- ٦ -

ارفعي يدَك عن عاداتي الصغيرهْ وأشيائي الصغيره..
عن القلمِ الذي أكتبُ به..
والأوراقَ التي أخربش عليها..
وعلاقةِ المفاتيحِ التي أقتنيها
والقهوةِ التي أحتسيها..
وربطاتِ العنق التي أقتنيها
ارفعي يديْك عن كتابتي..
فليس من المعقول أن أكتب بأصابعك وأتنفس برئتيْك..
ليس من المعقولِ أن أضحك بشفتيك وأن تبكي أنت، بعيوني.!!

- ٧ -

لنعيد النظر في خارطة الحب التي رسمتها بقسوة فاتحٍ مغولي..
وأنانيةِ امرأةٍ تريدُ أن تقول للرجل:
كن .. فيكون ..

كلميني بديمقراطيْه ، فـذكور القبيلة في بلادي ..
أتـقنوا لعبةَ القمع السياسي
ولا أريدك أن تمارسي معي لعبةَ القمع العاطفي..

- ٨ -

اجلسي حتى نر ى..
أين حدودُ عينيك ؟.
وأين حدودُ أحزاني ؟.
أين تبتدئ مياهُك الأقليميهْ ؟
وأين ينتهي دمي ؟.
اجلسي حتى نتـفاهمْ..
على أي جزءٍ من أجزاءِ جسدي ستتوقـفُ فـتوحاتُك..
وفي أي ساعةٍ من ساعاتِ الليل ستبدأ غزواتُكْ ؟

- ٩ -

اجلسي معي قليلا..
حتى نتفقَ على طريقةِ حب
لا تكونين فيها جاريتي..
ولا أكونُ فيها مستعمرةً صغيرةً في قائمة مستعمراتك..
التي لا تزال منذ القرن السابع عشر
تطالب نهديك بالتحرر

ولا يسمعانْ..
ولا يسمعانْ..

***

لا أرى أحداً سواكِ

أنا لا أفكرُ.....
أنا لا أقاوِمَ ، أو أثورَ على هواك....
فأنا وكلّ قصائدي....
من بعضِ ما صنعتْ يداك....
إن الغرابةَ كلَّها.....
أني محاطٌ بالنساء....
ولا أرى أحدًا سواكْ....

***

على عينيك يضبط العالم ساعاته

- ١ -

قبل أن تصبحي حَبيبتي
كان هناك أكثرُ من تقويمٍ لحسابِ الزمنْ.
كان للهنودِ تقويُمهم ،
وللصينين تقويُمهم ،
وللفرسِ تقويُمهم ،

وللمصريـين تقويمهم ،
بعد أن صرت حبـيبـتي صار الناسُ يقولون:
السنةُ الألف قبلَ عـيـنـيـها
والـقرنُ العاشرُ بعدَ عـيـنـيـهـا.

- ٢ -

وصلتُ في حبـّك إلى درجة الـتـبـخـرْ
وصار ماءُ البحرِ أكبرَ من البحر
ودمعُ العين أكبرَ من العين
ومساحةُ الطعنة..
أكبرَ من مساحةِ اللحم.

- ٣ -

لم يعدْ بوسعي أن أحبَّك أكثرَ وأتوحّد بك أكثر
صارت شفتاي لا تكفيان لتغطيةِ شفتيك
وذراعاي لا تكفيان لتطويقِ خصرِكْ
وصارت الكلماتُ التي أعرفها أقلَّ بكثير ،
من عددِ الشاماتِ التي تـُـطرّز جسدَكْ.

- ٤ -

لم يعد بوسعي ،
أن أتغلغلَ في أدغالِ شَـعرك أكثر

فمنذ أعوام ،
وهم يعلنون في الجرائدِ أنني مفقود
ولا زلتُ مفقودا..
حتى إشعار آخر..

- ٥ -

لم يعد بوسع اللغةِ أن تقولك..
صارت الكلماتُ كالخيول الخشبيةْ تركضُ وراءك ليلاً ونهارا
ولا تطالُك..

- ٦ -

كلما اتهموني بحبِّك..
أشعرُ بتـفوقي.
وأعقد مؤتمرا صحفيا ،
أوزع فـيه صورَك على الصحافهْ ،
وأظهرُ على شاشةِ التلفزيون
وأنا أ ضعُ في عروةِ ثوبي
وردةَ الفضيحهْ..

- ٧ -

كنت أسمعُ العشاق

يتحدثون عن أشواقِهم
فأضحكْ..
ولكنِ عندما رجعتُ إلى فندقي وشربت قهوتي وحدي..
عرفتُ كيف يدخلُ خنجرُ الشوقِ في الخاصرة
ولا يخرج أبدا..

- ٨ -

مشكلتي مع النقد
أنني كلما كتبتُ قصيدةً باللونِ الأسود قالوا إنني نقلتها عن عينيك،

- ٩ -

ومشكلتي مع النساءْ
أنني كلما نفيت علاقتي بك سَمِعنَ خشخشة أساورك
في ذبذبات صوتي ورأين قميصَ نومك
معلقا في خزانةِ ذاكرتي.

- ١٠ -

لا تُعوديني عليك..
فقد نصحني الطبيبْ
أن لا أترك شفتيّ في شفتيْك أكثرَ من خمس دقائق
وأن لا أجلس تحتَ شمسِ نهديْك أكثرَ من دقيقة واحدةٍ
حتى لا أحترق..

- ١١ -

إن كنت تعرفين رجلا..
يحبُّك أكثر مني فـدليني عليه لأهنئه .. وأقتله بعد ذلك...

❊ ❊ ❊

في وصف قطة سيامية

- ١ -

تخلعُ فاطمةُ حذاءَها...
وتـتكومُ،
كقطة سِـيَـاميّـةٍ في جوفِ راحتي
ترمي حقيـبتَها على مقعد...
وكيسَ مشترياتِها على مقعد
وتدخل...
في أولِ شريان تصادفُه.

- ٢ -

تخلع فاطمةُ أسماءَها..
وتـقـرر في شجاعةٍ باهره
أن تكون امرأتي..
تـنـتـزعُ الحـلقَ من أذنيها
ترمي خواتمها...

ودبابيسَ شعرِها على الأرضْ
وذاكرتَها .. وأيامَها المتشابهة على الأرض
وتـندسُّ كشجرة الكاكاو...
تحتَ ثيابي...

- ٣ -

تضع فاطمةُ صورةً كبيرةً لها في غرفة الجلوس
تختار لونَ ستائري ، ولونَ دفاتري ،
وتفرضُ عليَّ ذوقَها في الطعام ، وفي الحب وتُغَمغِمُ من فرحِها..
كقطةٍ سياميهْ..

- ٤ -

تدخلُ فاطمةُ عليّ..
ملتـفةً بزوبعةٍ من شعرِها الأسود..
تضع مجلاتِها النسائيةَ على مكتبي.
وثوبَ نومِها في خزانـتي..
وملاقطَ شعرِها في جواريري..
تضعُ فـرشاةَ أسنانِها ،
قربَ فـرشاةِ أسناني ،
فأدركُ أنها قـررت احتلالي...

- ٥ -

تضجر فاطمةُ من شكلِ نهديها وتحاول رسمُها من جديد..
وتضجرُ من مكانِ سُرتها الذي لا تتغير
وتأمرها، أن تتحول إلى عصفور..
لا شيءَ أروعُ من فاطمهْ
عندما تخرجُ من بيتِ الطاعهْ
وتصهل كمهرة..
تحتَ شمس الحريْه.

- ٦ -

تقود فاطمةُ انقلابا تاريخيا على جسدها..
وتستلمُ السلطهْ.
تضع وزراءَها في السجن
ومستشاريها في السجنْ
وقيسَ بنَ الملوح، وجميل بثينة وجميع الشعراء العذريين في السجن
وجميع الذين ألفوا في
فنِّ الحب ولم يلامسوا إصبع امرأهْ...
وجميع الذين تحدثوا عن انتصاراتِهم النسائيةِ دون أن يصابوا بطعنةٍ واحدةٍ

أو بذبحةٍ قـلبـيـةٍ واحدهْ..
وجميع الذين كتبوا عن جحيم الجنسِ ولم ينـاموا مع ذبابهْ..
وتعلن فاطمةُ أمامَ الجماهيـرَ التي جاء ت لمبايعتها وفي لحظة صدقٍ لا يعرفها العرب
أنها حبيبتي..

- ٧ -

ترفضُ فاطمة جميع النصوص المشكوك بصحتِها
وتبتدئ من أولِ السطر..
تمزق جميع المخطوطات التي ألفها الذكور
وتبتدئ من أبجدية أنوثتِها.
ترمي جميعَ كتبِها المدرسيهْ، وتقرأ في كتاب فمي.
تهاجرُ من مدن الغبارِ وتـتبعني حافـيةً إلى مدن الماء.
تـقـفـز من قـطارِ الجاهليةِ وتـتكلمُ معي لغةَ البحر..
تكسر ساعتهَا الرمليهْ..
وتأخذني معها إلى خارجِ الوقت...

- ٨ -

تعتقد فاطمهْ
ـ وفاطمهْ دائما على حق ـ
أن حركةَ التاريخ تبدأ من عينيها،

وأن الإنسان الأولَ، عمَّر مغاراتِه ما بين نهدَيْها..
وأن اللغةَ لولاها، لا عملَ لها..
والموسيقى لا صوتَ لها..
والألوانَ لا لونَ لها..
وأن الشِّعرَ
- إذا هي رفعت يدَها عنه -
سيقفلُ البابَ على نفسه،
وينتحرْ...

- ٩ -

تعجبني قراراتُ فاطمةْ
عندما تتحولُ من حجرٍ مستديرٍ إلى نافورة ماءٍ
في بيتٍ أندلسي
ومن قصيدةٍ موزونةٍ ومقفاة إلى حمامةٍ تحطُّ على كتفي.
ومن جاريةٍ في بلاطِ هارونِ السادسِ عشر
إلى مليكةٍ في بلاط الشعرْ...

- ١٠ -

تعجبني حماقاتُ فاطمةْ..
عندما تتجاوز الإشارات الحمراء التي وضعها التاريخيون
حولَ كلامها، وحولَ أحلامها..

وتذبحهمْ في خيمتِهم
واحدا .. واحدا..
وتعجبني مبالغاتُ فاطمهْ
عندما تطرد جميع حراسها وتعينني حارسا على نهديها
بمرتبٍ قدرهُ عشرةُ آلاف قبلةٍ في الليلة
الواحدهْ....

- ١١ -

أحبُّ فاطمهْ
حين تشربُ قهوتَها الصباحية ، وتشربني..
وأحبها أكثرَ حين تؤكد لي: أنها سوف تحتل العالم، وتحتلني..

- ١٢ -

فاجأتُ فاطمهْ
وهي تصطاد السمكَ الأحمر على شواطئ دمي..

- ١٣ -

تعتقلني فاطمة تحتَ أهدابِها فلا أعرف متى ينتهي الليلُ
ومتى يبدأ النهارْ..

- ١٤ -

على يديْ فاطمهْ
تعلمت أن أكونَ كاتبا جيدا

ومحاربا جيدا
كما علمتني أن أحبَّها جيدا
وعلى يديْ فاطمهْ تعلمتُ أن الليبرالية هي امرأهْ.
وأن الرجل ـ مهما تثقف ـ
فهو رجل مخابراتْ...

- ١٥ -

من لم يعرفْ فاطمهْ
لم يعرفْ ما هي أعظمُ أعمالِ الله ولم يعرف ما هو الشعر..

- ١٦ -

تحطمُ فاطمهْ.
جميعَ قواريرِ الطبِّ العربي
وجميعَ معتقلاتِ الحبِّ العربي
وتخرجني من ثباتِ النصِّ العربي
وتفتح لي بابَ الاجتهادْ.

- ١٧ -

فاطمهْ.
هي أهمُّ امرأةٍ بينَ نساء العالم.
وأنا، أهمُّ رجلٍ أحبَّها

***

إنها تُثلج نساءَ

- ١ -

إنها تُـثـلـجُ نساءً..
أنزعُ معطفَ المطِر الذي أرتديه، وأقـفل مظلتي ، وأتركهن يتساقـطنِ على جسدي
واحدةً واحدهْ
ثماراً من النارْ
وعصافـيرَ من الذهبْ.

- ٢ -

إنها تـثـلج نساءً..
أفتح جميع أزرارَ قميصي
وأتركهن يتزحلقن على هضابي
ويغتسلن بمياهي ويرقصن في غاباتي
وينمن في آخرِ الليل كالطيورِ فوقَ أشجاري..

- ٣ -

إنها تثلج نساءً..
أخرجُ كالطفلِ إلى الحديقهْ
وأتركهن يكرجن كالـلآلئ على جبيني
امرأة .. امرأةْ
ولؤلؤةً .. لؤلؤهْ..
أحملهن كالثلجِ على راحةِ يدي

وأخاف عليهن أن يـذبن كالثلج بين أصابعي
من حرارةِ العشق.

- ٤ -

إنها تثلجُ نساء..
تخرج بلادُ العربِ عن بكرة أبيها
البوادي تخرُج .. والحواضرُ تخرج
الأغنياءُ يخرجون .. والفقراءُ يخرجون
واحـدٌ يحملِ بارودةَ صيدْ
وواحدٌ يحملِ صنارةَ سمكْ
وواحدٌ يحملِ قفصا
وواحد يحملِ بطحةَ عَرَقْ
وواحد يحملُ مخدةً وسريرا..

- ٥ -

إنها تُثْلِجُ نِساءً..
والوطن كلّه مستنفرٌ للهجوم على اللون الأبيض
واحدٌ يريد أن يقرقش الثلجَ تحت أسنانه..
وواحدٌ يريدُ أن يتزوجَ الثلج..
وواحد يريدُ أن يأكلَه..
وواحد يريد أن يأخذَه لبيتِ الطاعهْ..
وواحد يسحبُ دفترَ شيكاته من جيبه ليشتري
أي نهـدٍ أشقر يسقط من السماء كي يجعله ديكورا

في حجرةِ نومه....

- ٦ -

يسمع الثلجُ قرعَ الطبول ، وخشخشةَ السلاسلِ ويرى بريق
الخناجر ، والتماعَ الأنياب
يخاف الثلجُ علي عذريته.. فيحزمُ حقيبتَه ،
ويقرر أن يسقطَ في بلادٍ أخر ى...

***

خمس وعشرون وردة في شعر بلقيس

- ١ -

كنت أعرفُ أنها سوف تُقتل..
وكانت تعرفُ أنني سوف أقتـل..
وقد تحققتْ النبوءتان..
سقطت هي كالفراشةِ ، تحت أنقاض الجاهليهْ
وسقطتُ أنا .. بين أنيابِ عصر عربي
يفترسُ القصائد.. وعيونَ النساء.. ووردةَ الحريهْ..

- ٢ -

كنت أعرفُ أنها سوف تُقتل..
وأن أنوثتهَا لن تشفعَ لها.
فالأنوثةُ في هذا الوطنِ الممتدِّ جغرافيا
من البشاعهْ إلى البشاعه..
ومن القذيفة إلى القذيفه

ليست سببا تخفيفيا
يحمي الحمائمَ من الذبح..
ولا تعطي امتيازا للأمهاتِ لكي يكملنَ إرضاعَ أطفالهن..

- ٣ -

كنت أعرفُ أنها سوفَ تُقتل..
فقد كانت جميلةً في عصرٍ عربي قبيح..
وكانت نقيةً في عصرٍ عربيٍ ملوث
وكانت نبيلةً في عصرِ الصعاليك.
وكانت لؤلؤةً نادرهْ
بين أكداسِ اللؤلؤ الصناعي
وكانت امرأةً متفرده..
بين أرتالِ النساءِ المتشابهات...

- ٤ -

كنت أعرفُ أنها سوف تُقتل..
ففيها تجسدتْ حضارةُ ما بين النهرين
ونحن متخلفونْ..
هي مقام بغداديٌ رائع..
ونحن لا نسمع..
هي قصيدةٌ عباسيهْ..
ونحن لا نقرأ..
هي فصلٌ من ملحمةِ (جلجامش) ونحن أميّون..

هي أجمل ما كُتِبَ من شعر..
ونحن أردأ ما كُتُبَ من نثر...

- ٥ -

كنت أعرفُ أنها سوفُ تقتل..
لأن عينيها كانتا صافيتين كنهريْن من الزمردْ..
وشعرَها كان طويلا كموالٍ بغدادِ ي
فأعصابُ هذا الوطن ، لا تتحملُ كثافةَ اللون الأخضر
ولا تتحمل رؤيةَ لونِ شجرةِ نخيلٍ تتجمع في عيني بلقيس...

- ٦ -

كنت أعرفُ أنها سوف تقتل..
فكلنا - دون استثناءٍ -
موضوعون على قائمة الطعام في هذا الوطن
الذي احترف أكلَ مواطنيه..
والغريب .. أنهم يطالبوننا قبل أن ي يأكلونا .. أن نغني النشيد الوطنيّ!!
ونأخذ التحيةَ العسكريةَ لرئيس المائدهْ
وللغارسونات الذين يحيطون به..
أيُّ نشيدٍ وطنيٍّ ؟ أي وطن ؟ ..
حين تكون جثة المواطن العربي
مدفونةً في مكانٍ ما..
بين معدةِ الحاكم العربي..

وبين مصرانِه الغليظ...

- ٧ -

كنت أعرفُ أنها سوفُ تقتل..
فقد كانت مساحةُ كبريائها
أكبر من مساحة شبه جزيرة العرب
وكانت حضارتُها لا تسمحُ لها أن تعيشَ في عصر الانحطاط..
وكان تركيبُها الضوئيُ..
لا يسمحُ لها أن تعيشَ في العتمهْ...

- ٨ -

كانت تعتقد من شدةِ عنفوانِها أنَ الكرةَ الأرضية صغيرة عليها ولهذا حَزَمت حقائبها، ـ
وانسحبت على أطرافِ أصابعها، دون أن تُـخبر أحدا..

- ٩ -

لم تكن خائفةً أن يقتـلَها الوطن
ولكنها كانت خائفة على الوطنِ أنْ يَقتلَ نفسَه..

- ١٠ -

كسحابة حُبلى بالشعر..
نَقَّطَت فوقَ دفاتر ي
نبيذا .. وعسلا .. وعصافير..
وياقـوتًا أحمر..

ونقطت فـو قَ مشاعر ي
قلوعا .. وطيورا بحريهْ
وأقمارَ ياسمينْ.
بعد رحيلها ،
بدأت عصورُ العطش
وانتهى زمنُ الماء..

- ١١ -

كان حبُّها العراقي
له طعمُ الورد .. وطعمُ الجمر..
وكان إذا فاض في موسم الربيـع كسرَ جميع السدود..
وكسرني عشرين ألفَ قطعهْ..

- ١٢ -

أسست معها في ٥ آذار ١٩٦٢
أولَ مدرسة للعشق في بغداد
وعندما سقطَت بلقيس في ١٥/ ١٢/ ١٩٨١
استقالَ المعلمون والمعلماتْ
وهربَ التلاميذ
وتأجلت دراسةُ الحب..
إلى أجلٍ غيرِ مسمى...

- ١٣ -

قبلَ أن يتركني شعرُها الذهبي ويسافـر..

لم أكن أعرفُ أبدا
أن من بعضِ هواياتِ العصافير..
تجميعَ سبائكَ الذهب..

- ١٤ -

بعدَ رحيل بلقيس
لن يكبرَ الشجر
ولن يستديرَ القمر
ولن يشتعلَ الماءْ...

- ١٥ -

لأن الشعبَ العربيَّ كان يتمنى أن يكون حُـرا
كشعر بلقيس و غير معتقل بالدبابيس
والزنزانات .. والأسلاكِ الشائكهْ..
كشعرِ بلقيس..
فقد أمَرَ السلطانُ ـ نصره الله على أعدائه ـ
ـ وزاد من عددِ محظيّاتِه ونسائه ـ
بإشعال النار في حقولِ الحنطهْ..
وقطع رأس كلِّ سنبلةٍ تـتكلم مع سنبلة أخر ى
والتخلصِ من شعر بلقيس الجامحِ كحصان أشقر..
لأنه يُـعَلِّمُ الناسَ الطموح
ويحرضُهم على الحريهْ

- ١٦ -

كنت دائما أحسُّ أنها ذاهبه..
وكان في عينيها دائما
قـلوعٌ تستعـدّ للرحيل..
وطياراتٌ جاثمةٌ على أهدابها
تستعدل للإقلاع.
وفي حقيبة يدِها ـ منذ تزوجتها ـ
كان هناكَ جوازُ سفر .. وتذكرةُ طيران
وتأشيراتُ دخول إلى بلادٍ لم تزرها..
وعندما كنتُ أسألها:
ولماذا تضعين كلَّ هذه الأوراق في حقيبةِ يدك؟
كانت تجيبُ:
لأنني على موعـدٍ مع قـوسِ قزح...

- ١٧ -

بعدما سلموني حقيبةَ يدها..
التي عثروا عليها تحتَ الأنقاضِ ورأيت جوازَ السفر..
وتذكرةَ الطائرهْ..
وتأشيراتِ الدخول..
عرفت أني لم أتزوجْ بلقيس الراوي
وإنما تزوجت قوس قزح...

- ١٨ -

في الحفلاتِ العامهْ..

كانت تـتحاشى أن تقفَ معي..
أو تـتصورَ معي..
أو تقولَ للناس : إنها زوجةُ الشاعر.
أنا الذي كنت أبحثُ عنها هنا .. وهناك..
وأطلب من المصورين أن يصوروني معها..
حتى أدخلَ التاريخ..

- ١٩ -

عندما كانت تحضر أمسياتي الشعريه
كانت هي التي تسرقُ الأضواءْ
وأنا الذي أبقى في الظل.
لم تكن تطلبُ رضا الشعر..
كان الشعر هو الذي يطلبُ رضاها...
عندما تموتُ امرأة جميلهْ..
تـفـقـد الكرةُ الأرضية توازنَها
ويعلن القمرُ الحدادَ لمئة عام
ويصبح الشِّعر عاطلا عن العمل ..

- ٢١ -

لم تكن تعترفُ بأوساط الحلول
حضورُها كان استثنائيا..
وحديثُها كان استثنائيا..
وشعرُها الذي كان يسافر في كلِّ الدنيا..

كان حادثا اســتثنائيا..
لذلك..
كان موتُها اســتثنائيا مثلها...

- ٢٢ -

تزوجتــني .. رغمَ أنفِ القبيلهْ
وسافرت معي .. رغمَ أنفِ الـقبيلـهْ..
وأعطـتـني زينبَ وعُــمرْ..
رغم أنفِ القبيلـهْ..
وعندما كنتُ أسألها : لماذا ؟
كانت تأخذني كالطفل إلى صدرِها وتـتمتم:
لأنك قبـيلتي ..

- ٢٣ -

كانت خرافيةَ الألوان .. كفراشهْ
ورشيقةَ الطيران .. كفراشهْ..
وقصيرةَ العمرِ .. كفراشه..
وعندما أحرقوها في يوم ١٥ ديسمبر ١٩٨١
قالت إحصائياتُ الأمم المتحده
إننا القبيلةُ الوحيدة في العالم
التي تأكل الفَراشْ..

- ٢٤ -

بلقيسُ الراوي

بلقيسُ الراوي
بلقيسُ الراوي
كنتُ أحِبّ إيقاع اسمِها..
وأتمسكُ برنينه..
وكنت أخافُ أن أُلصِقَ به كُـنيَـتي
حتى لا أعكرَ ماءَ البحيره..
وأُشوهَ روعةَ السمفونـيه..
ما كان لهذه المرأةِ أن تعيشَ أكثر..
ولا كانت تـتمنى أن تعيش أكثر
فهي من فصيلةِ الشموعِ والقناديل
وهي كاللحظةِ الشعريهْ
لا بـدّ لها أن تـنـفجَر قبلَ آخر السطر....

* * *

الحب لا يقف على الضوء الأحمر

- ١ -

لا تفكرْ أبـدا .. فالضوءُ أحمرْ..
لا تكلمْ أحدا .. فالضوءُ أحمرْ
لا تجادلْ في نصوصِ الفـقهِ..
أو في النحوِ..
أو في الصرفِ..
أو في الشعرِ..

أو في النثرِ..
إن العقل ملعونٌ، ومكروهٌ، ومنكرْ...

- ٢ -

لا تغادر..
قُـنَّـكَ المختومَ بالشمعِ .. فإن الضوءَ أحمرْ
لا تحب امرأةً .. أو فأرةً..
إن الضوء أحمرْ..
لا تـضاجع حائطا .. أو حجرا .. أو مقعـدا .. إن ضوءَ الجنسِ أحمر..
ابق سِـريًّا..
ولا تكشف قراراتك حتى لذبابهْ..
ابق أميّـا..
ولا تـدخُـل شريكا في الزنا أو في الكتابهْ..
فالزنا في عصرنا..
أهون من جرمِ الكتابه..

- ٣ -

لا تفكرْ بعصافيرِ الوطنْ..
وبأشجارٍ .. وأنهارٍ .. وأخبارِ الوطن..
لا تفكرِ بالذين اغتصبوا شمسَ الوطن..
إن سيفَ القمع يأتيك صباحا في عناوينِ الجريدهْ..
وتفاعيلِ القصيدهْ..

وبقايا قهوتِـكْ
لا تنم بينِ ذراعيْ زوجتِك...
إن زُوّارك عندَ الـفـجرِ موجودون تحت الكَـنَـبَـه..

- ٤ -

لا تطالعْ كتبا في النقدِ أو في الفلسفهْ
إن زوارَك عندَ الفجرِ..
مزروعون مثلَ السوس في رفـوف المكتبه..
ابق في برميلك المملوءِ نملاً .. وبعوضا .. وقمامهْ..
ابق من رجليك مشنوقا إلى يوم القيامهْ..
ابق من صوتِك مشنوقا إلى يومَ القيامهْ..
ابق من عقلِك .. مشنوقا إلى يوَم القيامهْ..
ابق في البرميلِ .. حتى لا ترى وجَهَ هذي الأمةِ المغتصبَـهْ..

- ٥ -

أنتَ لو حاولتْ أن تذهبَ للسلطان..
أو زوجتِه..
أو صِـهرِه..
أو كلبهِ المسؤولِ عن أمِن البلاد..
والذي يأكلُ أسماكا .. وتفاحا .. وأطفالا..
كما يأكُل من لحم العبادْ..
لوجدت الضوءَ أحمرْ..

- ٦ -

أنتَ لو حاولت أن تقرأ يوما
نشرةَ الطقس .. وأسماءَ الوفيات .. وأخبارَ الجرائم..
لوجدت الضوءَ أحمرْ..
أنت لو حاولت أن تسأل عن سعرِ دواء الربو..
أو أحذيةِ الأطفال..
أو سعرِ الطماطم..
لوجدت الضوء أحمر..
أنت لو حاولت أن تقرأ يوما صفحة الأبراج..
كي تعرف ما حظك قبل النفط..
أو حظّك بعد النفط..
أو تعرف ما رقمَك ما بين طوابير البهائم..
لوجدت الضوءَ أحمرْ..

- ٧ -

أن تبحثَ عن بيتٍ من الكرتون يأويَك..
أو سيدةٍ - من بقايا الحرب - ترضىَ أن تُسلّيك..
وعن نهدين معطوبين..
أو ثلاجةٍ مستعملهْ..
لوجدت الضوء أحمر..
أنت لو حاولتَ..
أن تسأل أستاذَك في الصفِّ .. لماذا ؟

يتسلى عربُ اليومِ بأخبار الهزائم ؟
ولماذا عربُ اليومَ زجاجٌ فوقَ بعضٍ يتكسر ؟
لوجدت الضوء أحمر..

- ٨ -

لا تسافـر بجوازٍ عربي..
لا تسافـرْ مرةً أخرى لأوروبا
فـأوروبا - كما تعلم - ضاقتْ بجميعِ السفهاء..
أيها المنبوذُ..
والمشبوهُ..
والمطرودُ من كلِّ الخرائط
أيها الديكُ الطعين الكبرياء..
أيها المقتولُ من غيرِ قـتال..
أيها المذبوحُ من غيرِ دماء..
لا تسافر لبلادِ الله..
إن الله لا يرضى لقاءَ الجبناء..

- ٩ -

لا تسافرْ بجوازٍ عربي..
وأنتظرك كالجرذ في كل المطارات ،
فإن الضوءَ أحمرْ..
لا تقل باللغةِ الفصحى..
أنا مروانُ..

أو عدنانُ..
أو سحبانْ
للبائعة الشقراءِ في (هارودز)
إن الاسمَ لا يعني لها شيئا..
وتاريخك ـ يا مولاي ـ تاريخ مزوَّرْ..

- ١٠ -

لا تفاخر بـبطولاتِك في (الليدو)
فسوزانُ..
وجانينُ..
وكوليت..
و آلافُ الفرنسيات .. لم يقرأن يوما قصة الزير وعنترْ..
يا صديقي:
أنت تبدو مضحكا في ليلِ باريس..
فَـعُـد فورا إلى الفندقِ..
إن الضوءَ أحمرْ..

- ١١ -

لا تسافـرْ..
بجوازٍ عربيٍّ بينَ أحياءِ العرب!!
فهم من أجلِ قرشٍ يقتلونك..
وهم ـ حين يجوعونَ مساءً ـ يأكلونك
لا تكن ضيفا على حاتمِ طيّ.

فهوك كاذبٌ..
ونصاب..
فلا تخدعك آلاف الجوار ي..
وصناديقُ الذهب..

- ١٢ -

يا صديقي:
لا تَسِر وحدَك ليلا
بين أنيابِ العرب..
أنت في بيتكِ محدودُ الإقامهْ..
أنتَ في قومِك مجهولُ النسبْ..
يا صديقي:
رحم الله العربْ.!!

***

